الديمقراطية وأهدافها في التعليم والتربية

للدكتور عبد الرحمن الكيالي

١ — ما هي الغاية من الاستقلال ؟

ان الحصول على الاستقلال التام الناجز لا يعد الغاية من جهادنا الذي استدام خمسة قرون . فما هي غايتنا ؟ لماذا نشتكي ونتشكي ونتألم ونصيح وقد أصبحنا سادة بلادنا أحراراً فيما نريد وما لا نريد ؟ هل يعوزنا المال والزمن والرجال ، أم تعوزنا الارادة والعمل والثبات حتى يخيب أملنا ولا نكاد نلمس فرقاً بين الأمس الغابر واليوم الحاضر ؟ هل مبعث شكوانا حيويتنا الوثابة ، وطبيعتنا الحساسة أم أهدافنا السامية وآمالنا العديدة ؟ كيف نعالج بلوانا ونتحرر من القيود التي غلت أيدينا ؟ وما هي الوسائل التي تنقذنا من أخطاء الجهل ومساويء الاستكانة ، وأسباب التذمر وتنهض بنا بسرعة وحماس كما نهض غيرنا وتدفعنا للأمام كما دفعت من سبقنا فارتقى وتقدم ؟ هل تنقصنا المواهب والاستعداد الفطري أم ينقصنا شيء آخر بدونه لا نستطيع ادراك ما يلزمنا ، وتدارك ما يحوجنا ؛ وإذا سعينا نكون من الناجحين في علومهم ، وتجاربهم وصناعاتهم وتجاراتهم وآدابهم وأخلاقهم وزراعاتهم وشركاتهم فما هو العامل لبلوغ النجاح ؟ وما هي أدلة النجاح ومقياس الرقي ؟

٢ — ما تطلبه الديمقراطية :

لا شك أن هذه المسائل وأمثالها وما لها من أهداف ووسائل مما يجب معالجته بعلم ، وتمحيص ، وإخلاص ، فيجاب عليها وتنشر ويبشر

بها ، ويعلمها طلاب العلم ورجال الدولة وأصحاب العمـــل وكل مؤمن بالديمقراطية وساع لعزة قومه وكرامة وطنه .

وما دام الاستقلال كما يقول علماء الاجتماع هو وسيلة لا غاية فكل استقلال لا يؤدي الى طمأنينة النفوس ، ورفاهيـة الشعب ، ولا يهيء الاجيال للبقاء والتقدم ولا يضمن للأفراد والجماعات حرياتهم التي هي من حقهم المقدس ، ولا يصون الحقوق ، ويحمي المصالح والعلاقات التي تربط الأفراد والجماعات والدولة ، ولا يرعى ارادة الأمة ورفاهيتها باستتباب الأمن وفرض النظام وادارة الأمور بعدل وتجرد ونزاهة ، يورث الاضطراب وينشر الفوضى ، ويعرض كيان الوطن إلى أخطر العواقب .
وإذا كانت المدنيات قد اختلفت أنواعها وأنظمة الحكم قد تعددت أشكالها ما بين ، استبدادية ، ومطلقة ، واقطاعية ، وملكية ، واشتراكية ، ونازية ، وفاشيستية ، وديكتاتورية ، وديمقراطية ، وجمهورية ، فان خيرها وأبقاها ما كانت مبادئها مستقرة في روح الشعب ، ونظامها صادراً عن ارادة الشعب ، وغاياتها لخير الشعب ولها دستورها وممثلوها المنتخبون ، وحكومتها ، ومؤسساتها ، ومجالسها ، وجمعياتها ، وشركاتها ، ومعاهدها تدين بعقيدة وطنية موحدة وتتبع غاية واحدة وتخضع لنظام عام واحد .

٣ — ما هي الديمقراطية ؟

تعرّف الفلسفة السياسية الديمقراطية بأنها « نظام موضوع للحصول على قرارات تشريعية تحقق الصالح العام بجعل الشعب تصدر عنه تلك القرارات بواسطة انتخابه أفراداً يمثلون ارادته ، ويجتمعون لهذه الغاية ، ومعناه أن هنالك صالحاً عاماً هو منار السياسة التي هي بسيطة بحد ذاتها يستطيع كل عاقل أن يراها ويناقشها ولذا لا يعـذر من لا يقررها ولا يراها ولا معنى لوجود شعب لا يفهمها ولا يرى الا الجهالة والبلادة

وعدم الاجتماعية « اللااجتماعية » ومعناه أن هذا الصالح العام يدل على جميع المسائل التي بطبيعتها إما ان تكون خيراً للشعب أو شراً له ويدل على ضرورة اتفاق الأفراد على وجود الارادة العامة أو وجود مبدئها على الأقل » .

٤ — ما يقول ادوار بنش عن الديمقراطية :

وتأييداً للتعريف المذكور يقول رئيس جمهورية تشكوسلافيا في كتابه الديمقراطية « ان الديمقراطية لا تزال في نظري تمثل أرفع درجة في سلم البناء الاجتماعي ، لأنها تدعو الى تشييد البناء على أساس احترام القيم المعنوية للفرد ، ولذلك لم يكن نضالنا ضد النازية والفاشيستية حرباً على أحلام الجرمانيين الطامحين إلى السيطرة على العالم فحسب ، بل كان جهاداً في سبيل هذه الدعوة الديمقراطية أيضاً ، وفي سبيل إخراجها إلى حيز التطبيق ، ويختم كلامه بقوله : « وما غاية الحرب التي خاضتها الأمم المتحدة الا تحرير الانسان وصون كرامته ، وأن تصبح حقوقه الاساسية الى جانب الحرمات الاربع — حرية القول والعقيدة ، حرية الرأي والعبادة ، التحرر من العوز والفاقة ، التحرر من الظلم والاستعباد — محور الوجود الانساني في العالم كله . فعلى ديمقراطية المستقبل ان شاءت بلوغ هذه الغاية أن تؤمن المساواة الفكرية والاقتصادية مع المساواة السياسية التي حملتها في الماضي الى أبناء الأمة الواحدة ، وعليها أن تدرك جيداً أن المبادىء الديمقراطية يجب أن تتعدى حياة الأمة الداخلية ، لتصبح شريعة سياستها الخارجية . وها هي عبر الحرب تعلم الدول الكبيرة والصغيرة ان المجتمع البشري لن يتقدم ما لم تقم فيه سلطة سياسية غالبة تحل النظام والقانون المقام الأول حتى في العلاقات بين الدول »

٥ — مبادئ الديمقراطية

ويستنتج من كل ما تقدم أن الديمقراطية سواء أكانت عامة أم خاصة ، اجتماعية أم اقتصادية ، سياسية أم ثقافية تنطوي على مبدأين « ارادة الشعب ، والصالح العام » . وهي خلافاً لبقية المذاهب الاجتماعية والأنظمة الحكوميّة التي منها من اعتبر الفرد الدولة وحدّ من حريته وتصرفاته لسلامة الدولة ، فانها أخذت بمبدأ العدل الاجتماعي والتعاون الاجتماعي لسلامة المجموع وجعلت الدول الظافرة التي أراقت دماء الملايين من أبنائها للقضاء على السيطرة الديكتاتورية وعلى فكرة التصرف بعقول الشعب وحرياته وجهوده لحساب طبقة مستأثرة تحكم تحت ستار مصلحة الدولة ، تعدل قوانينها ونظمها لتمكين السواد الأعظم من اقتسام ثمرات الظفر وثروات الدولة لتأمين حياته ومستقبل أبنائه وترفيه أفراده .

ونحن الذين قبلوا النظام الديمقراطي كما تجلى في ماضينا العظيم وفي دستورنا الحكيم وأسلوب حكمنا الحاضر وفي تشريعنا الصادر عن ممثلينا لهذه الغاية يجدر بنا أن لا نفصل عن تيارات المدنية وتطورات الدول وأن لا نهين حق الشعب وآماله فنسعى الى تحقيقها . والعرب أحق الأمم وأولاهم بفهم الديمقراطية التي لم تتجل في أي عصر مثلما تجلت في عصر الرسول وخلفائه الراشدين .

وعلينا أن نربي أولادنا وأنفسنا على تأدية ما تفرضه علينا من واجبات وتضحيات فنعمد الى محاربة الأمية ، والقضاء على الجهل بنشر التعليم الصحيح بين جميع الأفراد والى احترام الرأي وصيانة الحقوق ، والطاعة للنظام ، وتكوين الأحزاب لا للمنافسات وخدمة الأشخاص ولكن لتنفيذ برامج تعالج قضايا البلاد ؛ والى حسن انتخاب النواب بوعي ، وإدراك المسؤولية ، والى العمل التعاوني المشترك .

٦ — أهداف الديمقراطية في التعليم والتربية :

ولما كانت الديمقراطية لا تقوم على أساس الجهل بل لا بد لها من وعي قومي ومن تطور اجتماعي في الأفكار والأخلاق فان أهم ما يبتدأ به هو التعليم والتربية . ولماذا ؟ لأن المواهب القومية تحتاج لنمو وتربية وتغذية ، والأذهان تتطلب تنويراً وارشاداً لأحسن الطرق والوسائل وفاقاً لاستعدادها حتى تتبع الأفراد والجماعات أهدافها ومثلها العليا في الحياة والتنظيم والانشاء . واذا صح أن للرقي مقاييس وللديمقراطية أدلة فأعتقد أن أصحها معاهد العلم والتربية ، ومخابر الدرس والتجربة . ولكن ما هو الرقي وأي تعليم يبعث النهوض والتقدم ؟

٧ — أدلة الرقي والنهوض

أجيبكم وتسلمون معي بأن الرقي ليس في الزينة وجمالها ، ولا في الملبس وأناقته ولا في المآكل ونفاسته . والمدنية ليست في كثرة الطرق والبنيان ، والنهضة ليست باتساع العمران وجمال المنشآت . إنما في أمور أخرى في الانسان هي مصدر الحركة والنمو ، وباعثة التجدد والتطور وسبب الازدهار والتقدم . في الفرد « الوراثة ، والفعالية ، والاستعداد ، والمقاومة ، وقابلية التكيف والائتلاف والملائمة مع المحيط ، ومقدار النمو ، ونسبة نتاج العمل ، وفي المجموع « سيادة الأمة على قوى الطبيعة وخيراتها والمقدرة على استخدامها واستثمارها ، ونمو الأخلاق ، وحسن العلاقة ، والأدب الفكري ، ورفاهية العموم ، ورضاؤه في الحياة » .

ومما لا جدال فيه أن السيادة على قوى الطبيعة لا تتم بدون العلم ، واستثمارها لا يكون بغير العلم وتعاليمه في كل وجوه الحياة ومرافقها إذ كيف نسخر قوى الطبيعة ومعظم أفراد الأمة يجهلون نواميسها وخواص جواهرها وفوائد قواها وموادها . وهل من يجهل الكيمياء

وطبقات الأرض والمعادن ، ووظائف الجسم ومنافع الصحة وخواص النباتات والحيوانات وفوائد العقاقير والأدوية وما يعتري الجسم من أمراض وأوباء وكيف تقاوم وتعالج الجراثيم الفتاكة وغيرها من العلوم والفنون يستطيع مقاومة المحيط ومؤثراته وسد احتياجاته ؟ وهل ينمو العقل البشري وتتسع المدارك وتقوى الانسان على الاختراع والاكتشاف وهو بعيد عن العلم ، مقيد بقيود الاهمال والجهالة ؟ وهل تؤسس المعامل وتنشأ الصناعات ، وتنجح الشركات بدون معرفة علمية ؟ وهل يستتب الامن والنظام وتمارس السيادة وتتمتع بالحرية دون حكومة ديمقراطية ، ودستور محترم ، وجيش مدرب منظم ومعدات كاملة ؟

وأما سمو الاخلاق المنطوية على الصدق ، والنبل ، وحب الخير وأداء الامانة وتهذيب المعاشرة وحسن الطبع ، ورقة الشعور وصفاء القلب وحدة الخيال ، ولا نهائيـــة التصور بما وراء الكون ، فمزايا وصفات لا تتأتى إلا عن العلم والتربية .

٨ – أي تعليم ينفعنا ؟

وبما أن الاهداف المذكورة غاية ما تتطلبه الديمقراطية وهي أساس الرقي ، وما دام التعليم والتربية والاداة الصالحة لها ، وما دام واجبنا في عهدنا الاستقلالي التأسيس والانشاء ليكون وطننا حراً كامل السيادة ، كافل العيش الهني ، وما دمنا نعشق مجد الآباء ونعمل لاستعادة مجدهم وأداء رسالتهم فيا ترى أي تعليم ينفعنا وأي المدارس تحسن تربية أولادنا وأي منهج من مناهج التربية والتثقيف خير لنا ؟ هل نعلم أولادنا ليكونوا لنا أم لذويهم أم لبلدهم أم لأمتهم ، أم لطائفتهم ، أم لحكومتهم ؟ وهل نربيهم ليكونوا أصحاب إرادة وعزم ، وتثبت ، أقوياء الجسم ، أصحاء الفكر يعتمدون على أنفسهم واثقين من نجاحهم يعرفون متاعب الحياة

وقضايا الحياة ؟ أم نربيهم تبعاً لنا مستسلمين لارادتنا ، متكلين على مواردنا مرتزقين من الوظائف مسيرين بتيارات المحيط وتقاليد المجتمع ، أسيرين الاهواء والمطامع ؟ وأي سياسة تعليمية نتبعها ؟ أسياسة التعليم الحر النظري ، أم التعليم المهني العملي ، أم التعليم الزراعي الصناعي ، أم التعليم العالي الجامعي ؟ أسئلة هي من صميم الحياة ومن ضروريات المستقبل ، ولا بد لذوي الامر من آباء ، وحكومة ، ومجلس أن يفكروا بها ويقرروها ، ويهيئوا الجيل لما يجدونه خيراً لهم وله في تطبيقها .

٩ – صلاح التعليم وشروطه :

على أننا لن نتأكد من صلاح التعليم وملاءمة التربية لأهدافنا وحاجاتنا ما لم يقم أساسها على الثقافة القومية ، والتفكير العلمي ، والوحدة الوطنية والتعاون الاجتماعي ، والمساواة في الفرص .

ولن تفيدنا التربية المدرسية في جميع أنواع العلم ومختلف المدارس ان لم نعمل لانماء الشخصية ، وتقوية الخلق الأدبي وتنوير الذهن بالحقائق الواقعية والمعارف العملية ، والانقياد إلى المثل العليـــا في المعاملات والسياسة والاقتصاد وما لم تمكن الطالب بعد الانتهاء من تحصيله أن يُفهم غيره وينقل اليه أفكاره بلغة فصيحة ومنطق سليم وما لم يكن له المثل الصالحة مستمدة من أسفار التاريخ والادب والاجتماع والأخلاق ومن السير التي تعلمها وقرأ عنها ، وما لم يكن له العزم والارادة والرغبة لتطبيقها في أعماله وعلاقاته ، وما لم يدم نشاطه متأججاً ، وفعاليته متزايدة بحيث يتسع علمه وتسمو مداركه كلما تقدم في التجارب ، وما لم يوفق نفسه بأي عمل وفي أي محيط وجد لما يريده بثبات ونجاح .

١٠ – كيف يؤدي رجال التعليم هذه المهمة

والذي أعتقده أن رجال التعليم لن يوفقوا في أداء مهمتهم إن لم يقفوا على هذه المبادىء ويعملوا بموجبها ، ويعلموا حاجات الوطن وطبيعة المحيط وتاريخه ، وموارد الثروة فيه وموقعها ، ويبحثوا عن قوى الطبيعة واستثمارها وعليهم أن يفهموا تكوين الأمة الاجتماعي وأحوالها الروحية والسياسية والأدبية ومن الضروري لنجاحهم أن يحيطوا بالنظم القائمة والعادات الجارية والتقاليد السائدة . وأعتقد أنهم لن ينالوا ثمرة أتعابهم وعلمهم ما لم يعرفوا نفسية الطفل وذهنيته والأدوار التكوينية التي يمر بها دماغه وجسمه وما يطرأ عليها من علل وتحولات وما لم يدركوا كيف تنمو قواه البدنية والفكرية والروحية وأعتقد أنه من الضرر الفادح تسليم أولادنا وهم ثمرة حياتنا وسبب وجودنا إلى مربين لا يعرفون الغرائز وتأثيرها على العقل الباطن وتحكمها في الطباع والأعمال اللاشعورية ومن الويل ان تناسوا ما جهزتنا به الطبيعة من وراثة ، وأفعال منعكسة ، وعادات ومحيط ، وجهد ذهني واستعداد لحل قضايانا الحياتية .

١١ – حاجاتنا الحاضرة

أجل ! لقد بينا الغاية من الاستقلال ، وعرفنا معنى الديمقراطية ، وذكرنا مبادئها وأهدافها ، وشرحنا ضرورة التعليم والتربية ، وفصلنا مقاييس الرقي وأدلة التمدن ؛ وبحثنا أهداف التربية والثقافة ؛ وعددنا مطاليب الحياة وما أعدته الطبيعة لنا وما هي أدلة النجاح وأنواع المدارس وما يتحتم على الآباء اختياره ، وشرحنا ما يجب على رجال العلم والتعليم معرفته وكيف تؤدى هذه المهمة وبقي علينا كنتيجة لما تقدم أن نبين ما هي حاجاتنا الحاضرة من التعليم والتربية وأي المدارس والمعاهد أفيد لنا في عهدنا الاستقلالي الديمقراطي .

ان حاجاتنا مهما اختلفنا في تعدادها وبحثها تبدو صريحة إذا أخذنا بعين الاعتبار أولاً : ان بلادنا زراعية ونحن أمة نعيش من موارد الزراعة ومن خيرات الأرض وموقعنا يقع في ملتقى مواصلات الشرق والغرب وبحكم الطبيعة ورثنا الميل للتجارة والصناعة . ثانياً : ان الأمية لا تزال متفشية بيننا في المدن والقرى وهي علة التأخر . ثالثاً : ان ما مر بنا من أدوار الحكم وأنواعه وما خلفته السنون في نفوسنا ومجتمعنا وأخلاقنا من أسواء ، وعادات ، وما أبقته بيننا من مقوضات تحتاج إلى معالجة قاطعة . رابعاً : ان أمر المرأة والعائلة أساسي في تكوين المجتمع وله التأثير الأكبر في كل اصلاح ونهضة . أقول إذا أخذنا هذه الأمور بعين الاعتبار وقدرنا ماللنظام والتنظيم والدفاع ، من ضرورة استطعنا أن نوجه تعليمنا وتربيتنا كما تفرضه الحاجة ويفرضه نظامنا الديمقراطي ويقول به العلم . ونظرة إلى ما بلغته المدارس الرسمية في سوريا من حيث العدد والنوع ترينا أن التعليم الاولي والابتدائي والثانوي وإن ازداد اتساعاً وتناول البنين والبنات وفاق ما كان عليه أيام العثمانيين والافرنسيين فانه من حيث الحاجة الملحة ، والضرورات التربوية المهمة لا يزال دون الغاية .

فالمدارس الابتدائية بلغ عددها « ٨٥٥ » مدرسة رسمية تحوي « ١١٢٠٣٥ » تلميذاً والمدارس الثانوية بلغ عددها « ٣٠ » مدرسة تحوي « ١٤٣٣١ » تلميذاً والمدارس المهنية بلغت « ٦٠ » مدرسة تحوي « ٩٦٢ » تلميذاً . وهنالك « ٩ » معاهد أهلية تحوي « ١٧٢٢ » تلميذاً فهل يكفي هذا المقدار للقضاء على الامية ؟ ولو فرضنا أن ربع السكان يحتاجون الى العلم ويجب أن يكونوا في المدارس كما دلت عليه احصائيات الامم الراقية ، واذا فرضنا أن نفوس سوريا ثلاثة ملايين فالواجب أن

يكون هنالك « ٧٥٠٠٠٠ » طالب وطالبة ، واذا كانت النفوس بعد الاحصاء الفني الدقيق تبلغ أربعة ملايين لكان الذين يجب أن يكونوا في المدارس مليون شخص ، فكم يقتضي لهؤلاء من المدارس ، ومن المعلمين ومن الأبنية ومن الزمن ؟

وإذا نظرنا إلى الكليات الثانوية وإلى عدد المتخرجين منها بالاعتبار الحاضر لهالنا عددهم ولوجدنا أن لا مخرج نهائياً لهم سوى التحصيل الجامعي وهو غير كاف لتأمين مستقبلهم ولتأمين حاجة البلاد . ألا يبقون حيارى مزودين بنظريات العلم ومحرومين من تطبيقاته العملية ؟ ألا تنقصهم أدلة النجاح ، وينقصهم التوجيه المفيد ؟ ان التعليم الجامعي مفيد ولكن البناء يبدأ من الأساس لا من الرأس .

اين التعلم الزراعي ؟ والتوجيه الزراعي ؟ وأين المدارس الصناعية الزراعية ؟ وأين كليات الهندسة الزراعية ؟ وأين المخابر والحقول الزراعية الفنية ؟ ان هذه غير موجودة والموجود هزيل وناقص . والبلاد بلاد زراعية وخمسة وسبعون من في المائة سكانها يتعاطون الزراعة ؟ فكيف تزد البلاد وتتلافى أخطار الثقافة الناقصة ، وكيف نزيد انتاجنا وتزداد ثروتنا وصادراتنا والمزارعون يزرعون ويحصدون وهم على ما هم عليه منذ القرون الوسطى لم يتقدموا إلا قليلا ؟ هذه بعثاتنا العلمية تذهب إلى الغرب فكم عددها وكم خصص منها للزراعة وفروعها والدراسات الزراعية وهندستها . كان الواجب أن نوجه تعليمنا لهذه الغاية منذ الابتداء وأن نرسل البعثات من شبابنا للتزود مما في الغرب من رقي زراعي وعلم زراعي حتى اذا عادوا تولوا التعليم ، والتطبيق والارشاد .

ان لكل تعليم فوائده ومحسناته وزيادة المدارس وكثرة انتشارها وانتشار التعليم مفيد ولكن حاجتنا إلى المدارس العلمية العملية الزراعية والصناعية أهم من كل شيء ، ويجب أن نتداركها قبل استفحال داء الحيرة

والتوظف . اننا بحاجة إلى مدارس لكل منها طابعها الخاص واختصاصها العلمي فبعضها للأثمار وبعضها للحبوب ، وبعضها للالبان والمواشي واللحوم والمراعي وبعضها للمروج والغابات ، وبعضها للاغنام والاواجن والصوف ، وبعضها للزهور والعطور والنحالة ، وبعضها للكيمياء الزراعية ودراسة التربة والأسمدة ، وبعضها للقطن والري ، وبعضها للصناعات الزراعية التي لا تعد .

ولترقية الصناعات نحتاج إلى مدارس مهنية ترفع مستوى الصناعة ومستوى الحياة وتستخدم العلم والفن وتخدم الشعب والحكومة والجيش وحسب علاقاتها تضم الى مهن ميكانيكية ، ومهن يدوية . فالميكانيكية تتناول مهنة المحركات ، والسواقة ، والسيارات ، والمطاحن ، وتركيب المعامل والآلات ، والكهرباء وما يشتق منها كالبرق اللاسلكي ، والراديو ، والتمديدات ، والتنويرات وغيرها ، والسكك الحديدية والمباني والنسيج ، والانوال . والمهن اليدوية تتناول شتى الصناعات كالخزف ، والبللور ، والقزاز ، والنجارة ، والنحت ، والحدادة ، والخياطة ، والنحاسة ، والزخرفة ، والدهان ، والحياكة وغيرها مما يدخل في حاجات الانسان والعمران .

ولجعلها تتفق والنظريات العلمية والترقي العلمي يجب تعليمها في المدارس تعليماً علمياً وعملياً . ونظراً لأهميتها فان البلاد الاميركية ، والانكليزية ، والسوفياتية عممتها وزادتها بصورة لم يسبق لها نظير . لان المدارس العالية والجامعية لا يستطيع معظم الطلاب الوصول اليها واتمامها لاسباب عديدة ولذا كي يتبع كل ما يستطيعه وحتى لا يبقى عالة على المجتمع يعيش بوحي التقليد والاستسلام احدثت هذه المدارس ، ونظمت ، واعتني بها حتى غدت محببة الى النفوس وضامنة للنجاح .

أما ما يخص المرأة وحاجاتها فلاختلاف حالة البلاد عن غيرها ولضرورة فتح المجال لها كي تكون عضواً صالحاً يؤدي وظيفته ويتبوأ مكانته فيجب أن يكون لها مدارس مهنية خاصة تتلائم مع حاجتها وطبيعتها . ومع أنها تؤم اليوم دور المعلمات ، والحقوق والطب والآداب والحقوق لأنها لا تجد سواها فهي في حاجة لمؤسسات أخرى تكفي للعدد الوافر من الطالبات تعلم فيها ما يضمن لها حسن الأمومة ، وبناء العائلة ، وكسب الرزق وخدمة الصناعة النسائية اليدوية والفنية .

والمدارس المهنية الموجودة والمدارس الثانوية والكليات الجامعية لا تستطيع بعلومها وتأسيساتها أن تمد الطلاب لمكافحة الحياة وتأمين حاجات الوطن وصيانة العقيدة والضمير ما لم تكن نموذجاً صالحاً للعائلة والحكومة والمعمل ، والشركة ، والقرية يخضع فيها الطلاب الى القانون لانه من منفعتهم ، ويقومون بالواجب لأنه واجب وأداؤه فضيلة ، ويمرنون أبدانهم لأن التمرين يكسبهم النمو والصحة ويعبدون ربهم لأن العبادة غذاء روحهم ويحترمون الحرية لانها حقهم والاساءة لها إساءة لانفسهم ، ويفكرون بما يعملون لأن العمل بدون تفكير ضياع للعمر ، ويشعرون بالثقة لأن شعور الثقة يقوي ارادتهم ويبعد عنهم مركب النقص . ولتكون المدرسة العالم المحبب اليهم يجب معرفة رغائبهم وفهم مسائلهم ومعالجة مشاكلهم بروح العطف والتقدير ويجب أن تكون صلة المعلم والمعلمات مع الطلاب صلة الوالدين مع اولادهم والصديق مع أصدقائه . والمدرسة لا تكون محببة إلا إذا وجد الطلاب فيها ما يريح روحهم ويهذب عواطفهم بانشاء النوادي المختلفة والجمعيات المفيدة الجدية . ومما هو ضروري أن تكون المدرسة نظيفة ومرتبة ومنسقة وأن تكون عناية النوادي والجمعيات التوجيه في مختلف الشؤون حتى يتعاون الطلاب على الأعمال الخيرية ويتعودوا عملها برغبة وتقدير . وللتخفيف من متاعب الفكر يجب أن تقام في المدارس

الالعاب الرياضية وتمارس التسليات البرئية ويجب أن يكون نظام الادارة والاشراف يشابه نظام الحكم القائم على المبادي الديمقراطية فيكون بجانب جهاز الادارة والتعليم هيئات للطلاب ينتخبون من قبلهم يمثلون مصالحهم ومصالح المدرسة ويشرفون على المنظمات المدرسية والجمعيات كما يشرف النواب على جهاز الحكومة ويشرعون لصالح الطلاب والمدرسة .

ومن المفيد تعويدهم كيفية الانتخاب وممارسته والبحث والمناقشة وتقديم الاقتراحات ونقد الآراء ووضع القرارات في المسائل التي سيجابهونها يوماً ما في مستقبلهم . ومن الواجب ايقاظ شعور الاحترام والمحافظة على موجودات المدرسة وكتبها وأدواتها وجمالها ولكي لا تنقطع صلة المدرسة بمن انجبتهم من طلابها ولمعرفة ما يؤول أمر كل منهم بعد خروجه يتخذ سجل خاص لتاريخ حياتهم وأعمالهم ويسعى لادامة العلاقة معهم والاتصال بهم وبيان مراجعاتهم ومشاكلهم واتباعاً لروح التربية الحديثة يجب أن يكون للرياضة جمعية وناد وللمطالعة مكتبة وناد وجمعية ، وللمباحث العلمية ناد وجمعية ، وهكذا لكل عمل تعاوني ولكل عمل علمي ناد وجمعية وقانون ويجب أن تمتزج النزعات البسيكولوجية والعلمية مع النزعات الاجتماعية لجعل التربية العمل اللانهائي المقصود منه تكييف الفرد جسماً وروحاً وعقلاً مع محيطه العلمي ، والعاطفي ، والارادي . وإلا كان من الضرر جعل المدارس قاطات للعقل ، ومكابس للعواطف ، وزرايب لقتل النفوس ومراتع لافساد الغرائز ، وسجوناً لقيد الحريات . ولا أدل على هذا من قول اللورد بيفردج الذي ينادي « ان قيام الديمقراطية دون تعليم الشعب وتثقيفه لا بد أن يؤدي الى جعلها ستاراً خداعاً لطغيان جبار لا خلاص منه ، واذا كانت الديمقراطية هي الغاية التي تستهدف اليها الشعوب صوناً لحريتها وكرامتها ، فلتعمل جادة مخلصة لنشر التعليم وتذيع الثقافة بين أفرادها وطبقاتها جميعاً لتصبح ديمقراطية صحيحة ،

لا زائفة خادعة ، ويؤيد هـذا القول الحكيم بيان امبراطور اليابان « هيروهيتو » لشعبه ، بعد ما استسلمت بلاده الى الحلفاء فقال لهم « لقد غلبنا لأننا لم نتعلم » ومعنى أننا لم نتعلم أن تربية الشعب وعلومه ومعارفه بالنسبة إلى الحلفاء كانت ناقصة فلم تعدّ العدة ، ولم نفهم مطاليب الحياة . . أليس في قول الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضي الله عنه: « لا تربوا أولادكم لزمنكم فانهم خلقوا لزمن غير زمنكم » ما يؤيد هذه الحقيقة ويحذرنا من الوقوع بما وقعت فيه اليابان .

يقول المربي « جاكوب فام » وهو من علماء أمريكا في بحثه عن التعليم وأهدافه « ان التعليم في كل زمن ومكان عملية يقوم بها جيل بعد جيل قصد اعداد الجيل الآتي للحياة والاضطلاع بمسؤولية الحياة ولا يخرج التعليم عن كونه تجربة قد تصيب وقد تخطيء وقد تنفع وقد لا تنفع شأنه في هذا شأن جميع التجارب التي يقوم بها الناس » .

١٢ – الخلاصة

وأخيراً ان محاضرتي ليست برنامجاً للديمقراطية والتعليم ولكنها ، فكرة توجيهية قصدت منها تنبيه المسؤولين لعلها تفتح أمامهم مجالاً للبحث والتنقيب والنقد وتنير لهم طريق الاصلاح بأفضل الوسائل فيختارون ، للأجيال تعليماً صحيحاً مفيداً ينقذهم من الحيرة ويمكنهم من العمل ويجعل ديمقراطيتنا لصالح الشعب وإرادته وهذا ما نبتغيه وإياكم والسلام .

دمشق : كانون الثاني سنة ١٩٤٧